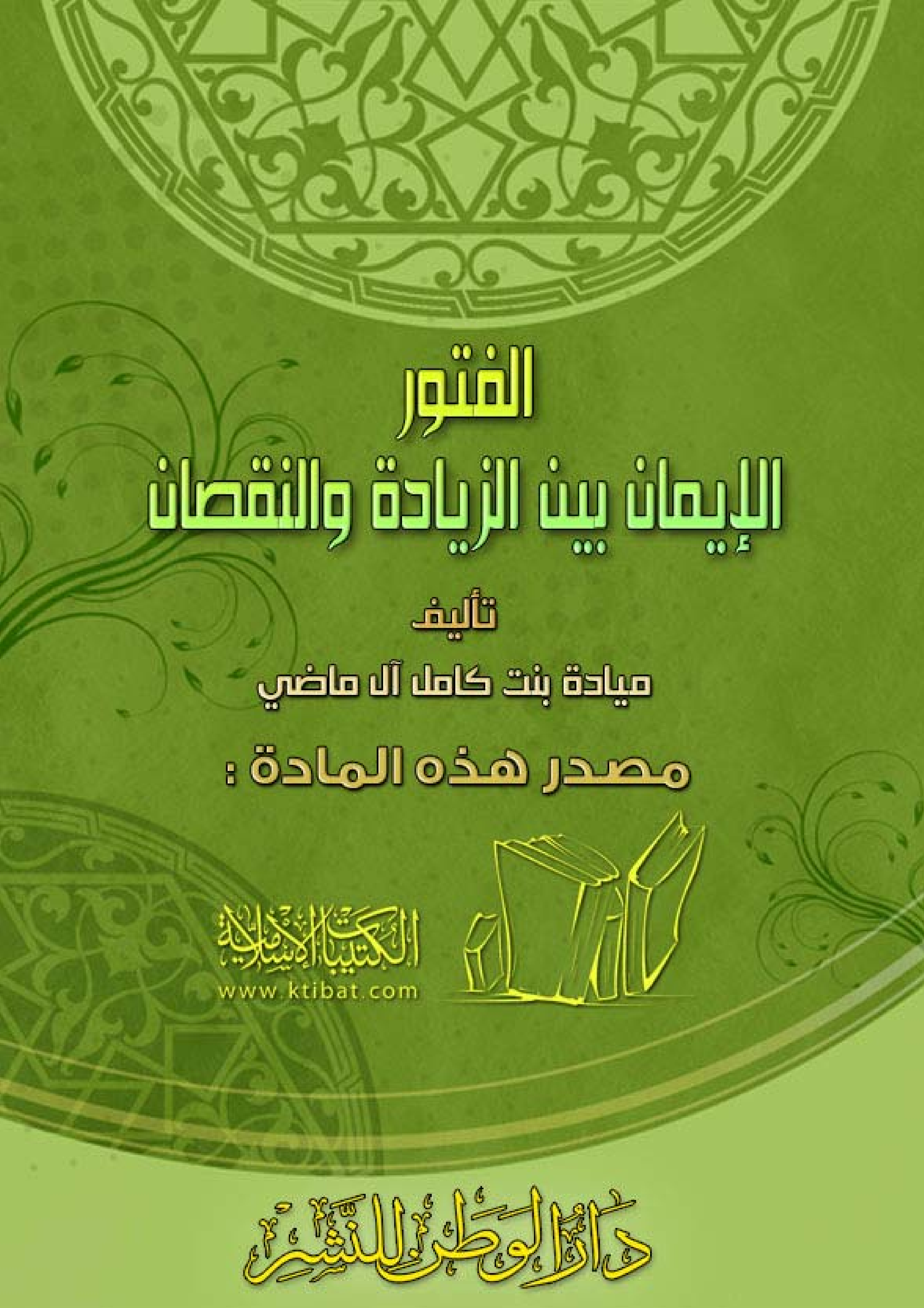

الفتور
الإيمان بين الزيادة والنقصان
تأليف
ميادة بنت كامل آل ماضي
مصدر هذه المادة :
المكتبة الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بين الزيادة والنقصان (الفتور)

الحمد لله الذي جعل لنا دينًا قيمًا ملة أبينا إبراهيم فقال جل وعز: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

الحمد لله الذي ارتضى لنا الحنيفية السمحة فسمانا مسلمين وما جعل علينا في الدين من حرج.

الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطًا، لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدًا.

الحمد الله الذي فطرنا على التوحيد فقال سبحانه: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، نشهد أن الحق ما شرعته، والهدى ما حكمت به، ونشهد أن محمدًا عبدك ورسولك وصفيك من خلقك، رسم لنا بهديه منهجًا بينًا لا عوج فيه، وأضاء لنا الدروب قولًا وعملًا.

فصل يا رب على خير الورى
ما صدحت قمرية على الذرى
والآل والأزواج والأصحاب
والتابعين من أولي الألباب

وبعد: أخواتي..

من سبل الخير التي يسرها الله لنا حلق الذكر ومجالس العلم، وما يحصل فيها من زيادة إيمان وترقيق قلوب، ولما فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، وذكر الله لهم في الملأ الأعلى، ومباهاته بهم الملائكة.

ولكن:

ولكن ينقطع البعض عن هذه الحلق بسبب سفر أو إجازة أو ظرف من الظروف العائلية حتى نسمع الشكوى من قسوة القلوب وتردد عبارات (أحس بقسوة في قلبي) (لا أجد لذة للعبادة) (أشعر أن إيماني في الحضيض) (لا أتأثر بقراءة القرآن) (أقع في المعصية بسهولة) إلى غير ذلك.

ومما لا شك فيه أخواتي أن الابتعاد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لضعف الإيمان في النفس يقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾.

فدلت الآية الكريمة على أن طول الوقت في البعد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لفتور النفس وتكاسلها عن الطاعات لافتقارها إلى الجو الإيماني الذي كانت تنعم في ظلاله وتستمد منه قوتها وعزيمتها، وهذا الابتعاد إذا استمر يخلف وحشة تنقلب بعد حين إلى نفرة من تلك الأجواء الإيمانية، فيقسو على أثرها القلب، ويظلم ويخبو فيه

نور الإيمان وقد يؤدي إلى حدوث انتكاسة لدى البعض.

قال ابن مسعود عندما نزلت الآية: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين.

ولهذا حذر رسول الله ﷺ من هذا المظهر فقال: «**إن لكل عمل شرة، والشرة إلى فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل**» وفي رواية «**فقد هلك**».

وروي أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل شيء شرة ولكل شرة، فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه**.. » وقد استعاذ عليه الصلاة والسلام صباحًا ومساءً من العجز والكسل فقال: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن، وضلع الدين، وقهر الرجال**»

قوله ﷺ «**شرة**» قال المناوي: (الشرة) الحرص على الشيء والنشاط فيه (ولكل شرة فترة) أي وهنًا وضعفًا وسكونًا.

يعني أن العابد يبالغ في العبادة أولًا، وكل مبالغ تسكن حدته وتفتر مبالغته بعد حين. قال المناوي: قال القاضي: المعني أن من اقتصد في الأمور سلك الطريق المستقيم واجتنب جانبي الإفراط (الشرة) والتفريط (الفترة).

(فارجوه) يعني أرجو الصلاح والخير معه.

(وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه) لا تعتدوا به ولا تحسبوه من الصالحين لكونه مرائيًا.

وقيل: هو داء يصيب العاملين يؤدي في أسوأ أحواله إلى الانقطاع بعد الاستمرار، وفي أحسن أحواله يظهر السكون والكسل والتراخي والتباطؤ بعد الحركة.

من الحديثين السابقين يتبين لنا أهمية الحديث عن هذه الظاهرة التي تسمى بالفتور – أو بضعف الإيمان – وتنبثق هذه الأهمية من خلال ما يأتي:

(١) **أن الله ذم المنافقين:** لتثاقلهم عن الصلاة وكسلهم فيها، وعن الإنفاق كراهية فقال سبحانه: ﴿**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾. وذمهم كذلك حين كرهوا الجهاد في سبيله: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾

وعاتب المؤمنين فقال: ﴿**مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ والتثاقل هو الفتور بعينه.

(٢) **أن الكسل والفتور لا يختص بطائفة معينة من الناس:** بل إنه يسري في الناس على مختلف طبقاهم وأعمارهم وأحوالهم.

(٣) **ما للفتور من خطورة:** حيث يؤدي بكثيرة من الناس إلى الانحراف ولا أدل على خطورته من كثرة استعاذة رسول الله ﷺ منه. وقد بين رسول الله ﷺ نوعين من الفتور: فمنه ما هو مستديم، ومنه ما هو طارئ (عارض):

أ) **فأما المستديم**: كأن يكون المرء دائم الكسل عن أداء الطاعات متثاقلًا عنها، لا يجد في نفسه رغبة عند أدائها وهذا سببه مرض في القلب، وقد يكون يحب هذه العبادات ويحزن إذا فاتته، ولكنه مستمر في كسله وفتوره تمر عليه الليالي وهو يريد قيام الليل وختم القرآن ولكنه لا يفعل، وهذا أخف درجة من الأول.

وهذه حال كثير من المسلمين الآن، وهذا النوع من الفتور هو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل**».

ب) **وأما الفتور العارض**: الذي لا يوقع في معصية ولا يخرج من طاعة – وهذا لا يسلم منه أحد – إلا أن الناس يتفاوتون فيه فهو الذي قصده رسول الله ﷺ: «**فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى**».

***وهو الذي** أبكى ابن مسعود – رضي الله عنه – في مرض موته لأنه أصابه في حال فترة و لم يصبه في حال اجتهاد.

***وهو الذي** جعل حنظلة – رضي الله عنه – يظن النفاق في نفسه حين لقيه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: نافق حنظلة. لأنه حين يكون عند رسول الله ﷺ فيذكرهم بالنار والجنة حتى كأنهم رأي العين، فإذا خرجوا من عنده عافسوا الأزواج والأولاد والضيعات فنسوا كثيرًا.

يقول ابن القيم رحمه الله: فتخلل الفترات للسالكين أمر لازم لابد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، و لم تخرجه من

فرض، و لم تدخله في محرم: رُجي له أن يعود خيرًا مما كان، مع أن العبادة المحببة إلى الله سبحانه وتعالى هي ما داوم العبد عليها.

ولذا: كان من حديث رسول الله ﷺ لعائشة حين سأل عن امرأة كانت عندها، قالت هذه فلانة تذكر من صلاتها.. قال: «**مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه**».

قال الإمام النووي شارحًا الحديث: فيه الحث على الاقتصار في العبادة، والنهي عن التعمق، والأمر بالإقبال عليه بنشاط، وأنه إذا فتر فليعقد حتى يذهب الفتور.

من صور الفتور

الصورة الأولى:

السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات والاهتمام الزائدة بالدنيا، والدنيا حلوة خضرة فقلَّ أن ينجو منها من وقع فيها، لذلك لما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض المباح قال رحمه الله: (هذا يتنافى مع أصحاب الهمم العالية ولذلك قيل (همك على قدر ما يهمك، خواطرك من جنس همك) فاهتمامات الإنسان عنوان على ما في داخله من عزم أو خور.

الصورة الثانية:

وهي نتيجة للصورة الأولى تبدأ بالتكاسل عن أعمال الخير والعبادات، مع ضعف وثقل أثناء أدائها ثم يقسو القلب فلا يعود

يتأثر بالقرآن، وبالمواعظ، حتى يصل من قسوة قلبه ألا يتأثر بمـــوت ولا ميت.

وأعظم من ذلك عدم تأثره بآيات الله وهي تتلى عليه.

ويصل الفتور إلى درجة أبعد إذا ألف الوقوع في المعاصـــي والذنوب وقد يصر على بعضها ولا يحس بخطورة ما يفعل وهـــو يقول هذه صغيرة وتلك أخرى وهلم جرا، وقد يصل به الأمـــر إلى المجاهرة.

وأود أن أشير إلى أن هناك فرقًا بين الفتـــور والانحـــراف، ولكن الفتور قد يصل بصاحبه إلى الانحراف إن لم يتداركه الله بمنة منه وفضل.

الصورة الثالثة:

ومما يترتب على الصورة الثانية من المظاهر الغلو في الاهتمام بالنفس مأكلًا ومشربًا وملبسًا ومركبًا، فبعد أن كان لا يلقي لهذه الأشياء بالا إلا في حدود ما شرع الله إذا هو ينفق الوقت والمـــال والاهتمام بأمور كمالية، فتضيع الأوقات بما لا ينفع. قال تعـــالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَـــا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**.

الصورة الرابعة:

ومع ظهور الصورتين الثانية والثالثة تظهر صورة رابعة هي جد خطيرة، ألا إنها انطفاء الغيرة وضعف جذوة الإيمـــان وعـــدم

الغضب إذا انتهكت محارم الله، فيرى المنكرات ولا تحرك فيه ساكنًا، وقد يكتفي بالحوقلة والاسترجاع إن كان فيه بقية من غيرة.

ومن يَهُن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميّتٍ إيلامُ

الصورة الخامسة:

انفصام عرى الأخوة بين المتحابين وضعف العلاقة بينهم، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**ما تواد اثنان في الله عز وجل، أو في الإسلام فيفرق بينهما أول ذنب** وفي رواية: **ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما**».

فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك واجعلنا من المتحابين في جلالك: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾.

الصورة السادسة:

ومن الصورة الخفية للفتور: الاهتمام بالحوار العقلي في تفنيد شبه الملاحدة والعلمانيين، والاكتفاء بالترف العلمي على حساب الهمم والحركة ودون عمل يفيد الأمة وبالتالي ضياع الوقت وعدم الإفادة منه، وتزجيته بما لا يعود عليه بالنفع.

أسباب الفتور والعلاج

للفتور أسباب كثيرة ومتنوعة إذا سلم المسلم من بعضها فقل أن يسلم من بعضها الآخر، وسأذكر مع كل سبب العلاج لما له من وقع خاص وتأثير لا ينكر وإذا عرف السبب بطل العجب، «**وما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء**»:

١) **عدم الإخلاص أو عدم مصاحبته:** قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾، والإخلاص يدفع المسلم إلى الجد الاجتهاد وعدم الملل والسآمة، أما إذا ضعف الإخلاص أو دب الرياء فسرعان ما يخبو الحماس وتضعف العزيمة، وأنبه هنا إلى حالتين مهتمين في عدم الإخلاص وهو:

أ) إما أن يكون أساس العمل غير مقرون بالإخلاص كما قيل:

صلى المصلي لأمر كان يطلبه
فلما انقضى لا صلى ولا صاما

ب) أن يكون أساس العمل خالصًا ثم طرأت عليه صوارف أضعفت الإخلاص. (رياء – سمعة – حب جاه – طلب دنيا)، لذلك وجب على المسلم تعاهد إخلاصه وتجديده، عند كل عمل يرجو به وجه الله فهذا أبقى وأنقى.

٢)**ضعف العلم الشرعي**: والجهل داء قاتل، فكلما ضعف العلم الشرعي كان صاحبه أكثر عرضة لأن يصاب بداء الفتور فهو لا يعلم الأثر المترتب على العمل مما يضعف من عزيمته، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾. وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.

والعلم نور يرفع صاحبه إلى الدرجات العلا، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ وعلى قدر زيادة علم المرء تزداد معرفته بالله وبحقه وما أعده للعاملين، ولذلك كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب،

والعلاج بالمواظبة على الدروس والمحاضرات وحلق الذكر.

٣) **غلبة هم الدنيا على هم الآخرة:** حتى يصبح القلب عبدًا لها والرسول ﷺ يقول: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم**».

نرقـــع دنيانـــا بتمزيـــق ديننـــا
فـــلا ديننـــا يبقـــى ولا مـــا نرقـــع

من وجد لذته وسلواه في الدنيا وحطامها نسي الآخـــرة أو كاد، فيضعف الإيمان شيئًا فشيئًا حتى تصبح العبادة ثقيلة ومـــن ثم يدب الفتور. وعلاج هذا المظهر إنما يكون: بقصر الأمل.

يقول ابن القيم رحمه الله: ومن أعظم ما فيهـــا هـــذه الآيـــة: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَـــا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**﴾ فهذه كل الدنيا.

قال بعض السلف لرجل: صل بنا الظهر، فقال الرجـــل: إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر. كذلك التفكر في حقـــارة الدنيا قال تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ يقول: ﷺ: «**إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلًا، فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه، قد علم إلى ما يصير**».

٤)**الحياة في الأجواء الفاسدة ومن ثم الوقـــوع في المعاصـــي والمنكرات:** كأن يعيش في وسط يعج بالمعاصي ويتفاخرون بالآثام. إن هذا المجتمع الصغير الذي يحيط بالمسلم يضعفه وقد لا يســـتطيع المقاومة فيدب الفتور إلى أوصاله، ويسري التراخـــي إلى عبادتـــه

وأعماله. ومن ثم الوقوع في المعاصي والمنكرات التي تكون بمثابة أثقال معنوية في الدنيا تثقل قلب صاحبها ونفسه، وهي يوم القيامة أثقال حسية قال تعالى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾. ولا يتوقف أثر المعاصي على الفتور فحسب، بل تؤدي في غالب الأحيان إلى الانحراف.

٥) **صحبة ذوي الإرادات الضعيفة والهمم الذاتية**: وهذا السبب وإن خالف في مفهومه السبب السابق فقد يحاول المسلم الابتعاد عن الأجواء الفاسدة، ولكنه يصحب ذوي الهمم الضعيفة والعزائم الواهنة، فلا يحس بأثرهم عليه ويضعف شيئًا فشيئًا حتى يتلاشى نشاطه أو تكاد تفتر همته وتخبو عزيمته.

لا تصحب الكسلان في حالاته
كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوي البليد إلى الجليد سريعة
كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

٦)**عدم وضوح الهدف**: الكثير من الناس يطلبون العلم، أو يدعون إلى الله، ونلحظ منهم نشاطًا وجدية حتى قد يحتقر الإنسان نفسه عند هؤلاء. ثم نفاجأ بأنهم لم يعودوا كما كانوا، ولو دققنا النظر لوجدنا من أهم الأسباب التي أوصلتهم إلى هذه الحالة أنهم كانوا يعملون دون أهداف واضحة فقد تكون فترة طفرة أو حماس بعد سماع محاضرة أو قراءة كتاب أو تأثير صديق، لذلك سرعان ما ينقطعون.

٧) **العقبات والمعوقات:** قد يكون في طريق بعض السالكين مثبطات وعقبات تعيق السير إلى الله بجد وعزيمة، ولهذا ركز القرآن الكريم على هذه القضية تبصيرًا للسائرين وتثبيتًا للعالمين قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

والأحاديث تؤكد هذه الحقيقة وتجليها، منها حديث خباب عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقال: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقال: «**إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب. ويُنشر بالمنشار فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، والذي نفسي بيده ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

٨) **الفردية:** الإسلام دين جماعي لا مكان للفردية فيه. ولا أقصد هنا بعض العبادات الخاصة كقيام الليل والنوافل وإنما باعتبار الغالب. كصلاة الجماعة للرجال، وأما الزكاة فإنما هي تعبير عن تضامن جماعي بين الأغنياء والفقراء، والصيام، والحج، حتى في الأمور المألوفة عند الناس، كالنسل فهو نتاج تزاوج وتصاهر ونسب، مع أن الله قادر على أن يخرج النسل من أحدهما دون الآخر كما خلق حواء من آدم، وأخرج عيسى من مريم.

وحتى في أمور العادات حث الرسول ﷺ على أدائها جماعية كالأكل حيث قال: «**اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه**»

والسفر حيث قال: «**والثلاثة ركب**» والآيات تؤصل هذا البــاب قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ والجماعــة هي الأصل قال ﷺ: «**عليكم بالجماعة وإيــاكم والفرقــة فــإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**».

قال علي بن أبي طالب: (كدر الجماعة خير من صفوها) وهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وهي من كان على مثل ما كــان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. من شذَّ عن هذا الأصــل العظــيم، وآثر الفردية، أو حياة التفرد، فإنه منقطع أثناء الطريق، وســتخور قواه، وتضعف عزيمته وتتكالب عليه شياطين الإنس والجن ويكون كالمنبت الذي لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، وصدق رســول الله ﷺ حيث قال: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**».

٩) الجهل بفقه الأولويات: إن عدم إدراك فقه الأولويات يجعل المرء في حيرة من أمره، فتتزاحم أمامــه مجموعــة مــن المصــالح والأهداف يصعب عليه القيام بها جميعًا فيقدم هذه ويؤخر تلك دون ضابط أو قيد، ومن ثم تنشأ عن هذه مجموعة من المشكلات تصيبه بالفتور مما يلهيه بالمفضول والمرجوح، ليبدأ بالتخلص من الفاضل وتنقلب عنده الأسس والموازين، كمن يتحرز من رشاشة النجاسة، ولا يتحاشى من غيبة وبهتان، أو يكثر مــن الصــدقة ولا يبــالي بمعاملات الربا، أو يتهجد بالليل ويؤخر الفريضة عن الوقت.

١٠) ضعف التربية: فهي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، وهي

أن هناك ضعفًا ظاهرًا في تربية رجال الأمة ومن ثم شبابها ونسائها، وأصبح التدين مظهرًا عامًا في داخله دخن عند كثير من المؤمنين، فالصلة بالله ضعيفة، والعلم قليل، والتجربة محدودة، بينما المشاعر فياضة، والحماس طاغ وقد يرى الناظرين كالسراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا إلا من عصم الله ووفق وثبت.

وهناك إشارات يجب الإشارة إليها في باب ضعف التربية:

ضعف البدايات: حيث تخلو التربية من الأصول والمنهج السليم بل تعتمد على العواطف والعلاقات الشخصية التي لا يمكن أن تورث ثباتًا. فصفاء الانتهاء من صفاء الابتداء ومن يقصر في البدايات يذهل عن الغايات، والعلاج يكون أحيانًا بتذكر أوقات البداية وجمع الهمة على السير إلى الله، فالسائر تعرض له فترة فيشتاق في تلك الفترة إلى حالة وقت الطلب والاجتهاد.

هذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يمر على رجل وهو يبكي من خشية الله فيقول: (هكذا كنا حتى قست قلوبنا).

أ) ضعف الثقة بالنفس والخوف من الفشل.

ب) الغفلة عن مبدأ الثواب والعقاب.

ج) التعنيف في المحاسبة وتضخيم الأخطاء وكثرة العتاب.

د) الإمعة والتقليد والسلبية.

وأخيرًا لا شك أن التربية المتوازنة المستقاة من الكتاب والسنة اللذين هما المنهج الشامل المتكامل الذي يربي المسلم التربية

الجيدة ويبني الشخصية القوية في انطلاقها، القادرة على الاستمرار، البعيدة عن التراجع والاضطراب، وكلما كانت التربية أشمل وأكمل كانت أبقى وأنقى وأدوم، ومع قدر الخلل يكون التقصير. لقد ربى رسول الله ﷺ صحابته خير تربية عرفتها البشرية ولم يكن هذا بالأمر السهل والهين، بل مكث سنوات طويلة في مكة وبعد ذلك في المدينة يتعاهد صحابته ويربيهم على عينه حتى تخرج على يديه الكريمتين تلك الصفوة المباركة التي ما عرف التاريخ مثلها.

واجهوا المشكلات والعقبات فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ذلوا وما استكانوا.

١١) عدم الواقعية: وهو عدم التناسب بين الإمكانات الذاتية وبين مقدار العطاء من عبادة، وعلم، ودعوة. وهذه قد يكون منشؤها الفرد، وقد يكون المجتمع الذي يعيش فيه ومن هذه الأمثلة:

أ) الغلو والتشدد.

ب) الحماس الزائد لطلب العلم أو الدعوة إلى الله مع إهمالٍ لحق الأهل والبيت أو التقصير بحق النفس من النوم والطعام ومتطلبات الجسد.

ج) عدم تناسب الأهداف مع ظروف الزمان أو المكان.

د) الفوضوية في طلب العلم والبداية بحماس دون النظر إلى بداية الطريق من أوله وعلو السلم من أسفله.

هـ) الفتور في علاج الفتور.

من الأسباب عدم استشعار خطورة الفتـــور والتقصـــير في علاجه، فالفتور مرض من الأمراض تكون بداياته غالبًا يسيرة فـــإذا ما تساهل فيه المسلم و لم يبادر إلى علاجه والبحث عـــن أســـبابه سرعان ما يزداد ويتأصل ويصبح علاجه أشد وأقسى، ويحتـــاج إلى جهد مضاعف ووقت أطول، ولنتذكر حديث المصطفى ﷺ في أول المحاضرة «**إن لكل شيء شرة**».

١٢) **أمراض القلوب**: كالحسد، وسوء الظن، والغـــل، **ممـــا** يشغل المرء بالخلق عن الخالق لذلك امتن الله على نبيه ﷺ بأن شرح له صدره، ووصف أهل الجنة فقال تعـــالى: ﴿**وَنَزَعْنَـــا مَـــا فِـــي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا**﴾ وأثنى على المؤمنين الذين يقولـــون في دعائهم: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

١٣) **التقصير في العبادة**: أو النظر إلى ما هو دونه في الطاعـــة والعبادة والدعوة.

١٤) **أحاديث النفس ووساوس الشيطان**:

فهذه مجموعة من أسباب الفتور وبعض طرق علاجها، وبقـــي أن نشير إلى أهم وسيلة من سبل العلاج ولهذا أفردها وأخرتهـــا ألا وهي:

تعاهد الإيمان وتجديده:

فإن قضية الإيمان ليست أمرًا على هامش الوجود، يجوز لنا أن نغفل أو نستخف بها، كيف وهي أمر يتعلق بوجود الإنســـان ومصيره؟

إنها سعادة الأبد أو شقوته، إنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا فكان لزامًا على كل ذي عقل أن يفكر فيها.

مثال هذا القصة التي رواها الإمام مسلم في صحيحه برهانًا مبينًا على مبلغ أثر الإيمان ذلك أن رجلًا كان ضيفًا على النبي ﷺ فأمر له بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أمر بثانية فشرب حلابها، ثم بثالثة فرابعة حتى شرب حلاب سبع شياه، وبات الرجل، وتفتح قلبه للإسلام، فأصبح مسلمًا، معلنًا إيمانه بالله ورسوله، وأمر الرسول له في الصباح بشاة فشرب حلابها ثم أخرى لم يستتمه، وهنا قال الرسول ﷺ كلمته المأثورة: «**إن المؤمن ليشرب في معي واحد والكافر ليشرب في سبعة أمعاء**».

والشاهد من الحديث أن الإيمان الجديد أشعر الرجل بغاية ورسالة، وفروض وواجبات، ونفذ ذلك إلى أعماقه نفوذًا. وليست هذه حادثة فردية، أو واقعة شاذة، فهل يمكن أن ننكر أو ننسى ما فعله الإيمان بأمة العرب جميعًا؟

* **هذا الإيمان**: الذي جعل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ينتقل من جاهلية عبد فيها صنمًا من الحلوى ثم أكله، ووأد بنتًا له في الجب –كانت تمسح الغبار عن لحيته وهو يحفر لها مكانها في التراب– إلى الإسلام – حتى يقطع شجرة الرضوان التي بايع النبي ﷺ أصحابه يوم الحديبية تحتها خشية أن يطول الزمن بالناس فيقدسونها.

***هو الإيمان الذي** جعل الخنساء التي فقدت أخاها لأبيها

(صخرًا) فملأت الآفاق عليه بكاءً وعويلًا، وشعرًا حزينًا، ثم هي بعد الإيمان امرأة أخرى، تقدم فلذات أكبادها إلى الميدان أي إلى الموت راضية مطمئنة بل محرضة دافعة... فقالت مقولتها الشهيرة: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

الإيمان حقيقة يقينية قاطعة، وقوة مؤثرة عجيبة، وهو أساس الخير، ومنبع العزة، ومصدر الكرامة، ولا توجد إلا معه ولا تتولد الكرامة إلا منه، الإيمان نور، وهدى، ونعمة غامرة من أجل نعم هذه الحياة، الإيمان هو الوجود وهو الحياة.

الإيمان منحة ربانية وفيض إلهي غامر، ونور هادٍ مضيء، الإيمان زينة جميلة حبيبة لطيفة، يهبها الله سبحانه لعبادة المؤمنين: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾.

إن الإيمان على قوته ومتانته أشبه ما يكون بالشجرة التي تغرس في الأرض فإذا أراد لها صاحبها حياة قوية وثمرًا وعطاء فلا بد أن يتعاهدها منذ غرسها، وأن يهيئ لها الوسط الملائم والتربة الخصبة، وأن يبعد عنها الشوائب الضارة، وأن يديم خدمتها حتى تضرب جذورها في أعماق الأرض وتمد فروعها في السماء... ثم تقدم ثمرًا طيبًا وعطاء نافعًا... إنها لا تعطيه إلا بعد ما يعطيها، ولا تمنحه إلا بعد ما يمنحها، ولا تقدم له زادًا إلا بعد ما يقدم لها زادها.

وهكذا طبيعة الحياة خدمة متبادلة وعطاء متبادل وهكذا الإيمان

الراسخ النامي، الذي يرسخ جذوره في قلب المؤمن ويثمر ثمارًا يانعة هي الطاعات والحسنات ويعطي ظلالًا وارفه هي الطمأنينة والرضا والسكينة.

الإيمان يزيد في قلب وحياة صاحبه، يزيد ويزيد حتى يملأ من صاحبه قلبه ووجوده ويكون نورًا يضيء له حياته، ويكون هو قد تمثل الإيمان عمليًّا في حياته، وتجسد الإيمان به وحل كيانه؛ كلامه إيمانه، نومه ويقظته إيمان، حركته وسلوكه إيمان، أنفاسه ودقات قلبه إيمان، خواطره وخيالاته إيمان... أو قل إنه إيمان.

وبما أن الله عز وجل قدر للإيمان أن يتأثر بالظروف والملابسات والأجواء المحيطة به وبصاحبه كما قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**».

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**ما من قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم، إذا تجلت عنه فأضاء**».

يعني بذلك أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلي الثوب إذا اهترأ وأصبح قديمًا وكذلك القلب يعتريه في بعض الأحيان سحابة من سحب المعصية فيظلم فتحجب نوره فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة، فإذا سعى لزيادة إيمانه واستعان بالله عز وجل انقشعت تلك السحب وعاد نور قلبه يضيء كما كان يقول بعض السلف: من فقه الإيمان أن يتعاهد العبد إيمانه، وما ينقص منه، ومن فقه العبد

أن يعلم أيزداد إيمانه أم ينقص؟ وإن من فقه العبد أن يعلم نزعات الشيطان أنى تأتيه؟.

ومما يزيد الإيمان أمور عدة أسردها سردًا:

(١) **كثرة العبادات وتنوعها**: والمحافظة على الفروض والسنن والنوافل وتعاهد الخشوع فيها (صلاة، صيام، صدقة)لأن هذا الإيمان يعطي القلب نفحات إيمانية، ودفعات قوية، وزادًا في الطريق.

(٢) **مراقبة الله والإكثار من ذكر**: فالله ناظر إليك فلا تجعله أهون الناظرين إليك، ومن هنا تتولد استشعار عظمته سبحانه وتولد الخوف والخشية والمحبة والرجاء.

(٣) **كثرة الذكر**: والمحافظة على الأذكار الواردة صباحًا ومساءً وفي كل حال: يقول ابن القيم: إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه.

وخص رسول الله ﷺ ذكرًا يعين كثيرًا فقال لأبي موسى الأشعري: «**يا عبد الله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة**».

قال ابن القيم: وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة وتحمل المشاق والدخول على الملوك، ومن يخاف ركوب الأهوال.

(٤) **تدبر القرآن العظيم**: والتفاعل مع الآيات الكونية.

(٥) **تذكر منازل الآخرة.**

(٦) مناجاة الله: والانكسار بين يديه.

(٧) محاسبة النفس: في تجديد الإيمان قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾.

وختامًا: فإن دعاء الله عز وجل من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجدد الإيمان في قلوبنا.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وثبتنا وثقل موازيننا، وحقق إيماننا، وارفع درجتنا، ونسألك الدرجات العلا من الجنة.آمين..

المراجع

(١) كتاب الفتور، ناصر العمر.

(٢) كتاب الفتور، جاسم الياسين.

(٣) كتاب ظاهرة ضعف الإيمان، محمد المنجد.

(٤) كتاب الإيمان والحياة، القرضاوي.

(٥) كتاب في ظلال الإيمان، صلاح الخالدي.